بصائر المعرفة القرآنية

سُنَّة
(نقص الأرض من أطرافها)
وأثرها في ازدهار الدول وانهيارها

أ.د. عبد السلام مقبل المجيدي

سُنَّة (نقص الأرض من أطرافها)

وأثرها في ازدهار الدول وانهيارها[١]

The Divine Tradition of Diminishing The Land At The Peripheries, and Its Effect on the Rise and Decline of Nations.

أ.د. عبد السلام مقبل المجيدي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم
قسم القرآن والسنة، كلية الشريعة، جامعة قطر
الدوحة – قطر
E-mail: S١٤٣٥y@gmail.com

(١) بحث محكم منشور باللغة الإنجليزية في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت، المجلد (٣٨)، (١٣٣)، ذو القعدة ١٤٤٤هـ - يونيو ٢٠٢٣هـ.

ملخَّص البحث

القرآن المجيد هو المصدر الحقُّ لفهم السُّنَن الإلهيَّة التي يقوم عليها الكون، وتتحكَّم بالحياة، وهذا يقتضي إعمال الفِكر في دراسة الظاهرة القرآنيَّة التي لا يَنْضَب معينُها، وتناول هذا البحث سُنَّة نقص الأرض من أطرافها، وهدف إلى التعريف بهذه السُّنَّة، وإبراز مظاهرها وتطبيقاتها، وذِكْر الآثار المترتِّبة على فَهْمِ هذه السُّنَّة، مستخدمًا المنهج التحليليَّ، والاستقرائيَّ في عَرضها، وبيان أثرها في ازدهار الدول وانهيارها حتى تكون الأُمَّة قادرةً على الحفاظ على مكتسباتها الحضاريَّة، حَذِرةً من الوقوع في بَرَاثِن السُّنَن المدمِّرة، وخلص البحث إلى عِدَّة نتائج، أبرزها: أن هذه السُّنَّة تمنح تفكيرًا عاليًا في التَّخطيط الاستراتيجيّ لقيام الحضارات وانهيارها، وتصلح أن تُدرس ضمن فَهْمِ قيام الدول وزوالها، وأنَّ فَهْمَ هذه السُّنَّة يمنح الفرصة لصنَّاع القرار والمهتمين بأمن الأمم أن يضعوا الحلول المناسبة لتأمين أممهم ودُوَلهم، كما ظهر العمقُ المعنويُّ الذي جاء به الأسلوب القرآنيُّ في التَّعبير عن هذه السُّنَّة، فقد عبَّر عنها بألفاظٍ موجزةٍ ذات معانٍ عظيمةٍ.

الكلمات الدَّالَّة: سُنَّة – نقص الأرض- الأطراف– الدُّوَل.

Abstract

The Holy Qur’an is the true source for understanding the divine traditions that and control life and on which the universe is based. The current study seeks to explore the divine tradition in diminishing the lands from their peripheries, identifying its manifestations and tracing its impact on the prosperity and collapse of nations. The analytical approach was used in the study to investigate how nations can be able to preserve their civilizational gains and be wary of falling into chaos and destruction.

Among the most important conclusions are the following:

١) This divine tradition provides insight into the strategic planning for the rise and fall of civilizations, and it is appropriate to be studied in the understanding of the rise and decline of states.

٢) Understanding this divine tradition helps decision-makers and those involved in the security of nations develop appropriate solutions to secure their countries and states.

٣) The study shows the semantic depth of the Qur'anic expression in expressing this divine tradition.

Keywords: *Divine Tradition- Diminishing Land – Peripheries- Prosperity – Degeneration Of Nations.*

المُقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ (الرحمن: ١-٤)، والصلاة والسلام على من تعلَّم منه الثقلان، وعلى آله وصحبه الذين بلَّغوا آيات العدل والرحمة والإيمان، أمَّا بعدُ:

فإنَّ السُّنَن الإلهيَّة هي النُظُم التي تجري أحداث الكون وَفْقَها، ومعرفتها تؤدِّي إلى: استكشاف آيات الأنفس، وآيات الآفاق، وطبيعة القوانين الحاكمة التي تُسخِّر السماوات والأرض لمصلحة البشريَّة، والمصدر الأعظم الذي يصفها لنا هو البينة القرآنية، وحينها نكتشف كيف يهيمن القرآن على بناء حياة الإنسان، ولأمهات السُّنَن الشرعيَّة والاجتماعيَّة مكانتها في تفسير تغيرات الحياة، وتنظيمها؛ وإدراكها يعني إدراك آليَّة البناء الحضاريِّ، والإعمار المَدَنيِّ، والتغيير الواقعيِّ، وبها نعلم سرَّ تداول الأيام، وتَقَلُّبَ الدهر؛ إذ يسير كل ذلك بناءً على تقدير منتظمٍ لا على تغيُّرٍ عشوائيٍّ ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ (الأنعام: ٩٦).

ومن هذه السُّنَن: **سُنَّةُ "نقص الأرض من أطرافها"**، إنها السنة التي تُبَيِّن عوامل انهيار الدول والحضارات، وهي إحدى علامات هذا الانهيار الرهيب، وفي هذا البحث بيانٌ للمدلول اللُّغَويِّ لهذه السُّنَّة، وأماكنِ ورودها في القرآن الكريم، وأقوالِ المفسِّرين في تفسيرها، وذِكْرٌ لبعض مظاهرها وتطبيقاتها الواقعيَّة، وكشفٌ للحقائق المترتِّبة على الفهم الصحيح لها.

أهمِّيَّة البحث:

تكمن أهمِّيَّة البحث فيما يأتي:

١) عدمُ إفراد سُنَّة نقص الأرض من أطرافها بالدراسة المؤصِّلة لها، ولأسبابها، وتطبيقاتها الواقعيَّة.

٢) اكتشاف الثروة المعرفيَّة الهائلة التي يكتنزها القرآن في دراسة هذه السُّنَّة، وتوضيح آثارها في ازدهار الدول وانهيارها.

٣) تعلُّق هذا البحث بقضيةٍ مُهِمَّةٍ، تَمَسُّ واقعَ المسلمين في زمن الاستضعاف، وتقديمُه الحلولَ المناسبة في ضوء بصائر المعرفة القرآنيَّة.

أسئلة البحث:

تتلخَّص أسئلة البحث في الآتي:

١) ما المراد بسُنَّة نقص الأرض من أطرافها؟

٢) ما مواضع ورودها في القرآن؟ وما دلالاتها المعنويَّة؟

٣) ما المظاهر المترتِّبة على هذه السُّنَّة؟ وما تطبيقاتها الواقعية؟

٤) كيف يمكن الإفادة بشكلٍ صحيحٍ من هذه السُّنَّة في رسم خطة استراتيجية للمحافظة على مكتسبات الأمم الحضاريَّة، وتفادي عوامل الضعف والانهيار؟

أهداف البحث:

١) التعريف بسُنَّة نقص الأرض من أطرافها، ومواضع ورودها في القرآن الكريم، وذكر أقوال المفسِّرين فيها، وإظهار المنهجيَّة القرآنيَّة في التعامل مع هذه السُّنَّة.

٢) إبراز مظاهر سُنَّة نقص الأرض، وتطبيقاتها الواقعية، وأثرها في ازدهار الدول وانهيارها.

٣) ذكر الحقائق المترتِّبة على الفهم الصحيح لسُنَّة نقص الأرض، والإفادة منها في المحافظة على مقوِّمات الأُمَّة، ومكتسباتها الحضاريَّة.

الدراسات السابقة:

لم تُفْرَد سُنَّة نقص الأرض ببحثٍ مستقلٍّ، بَيْدَ أنَّ هناك دراساتٍ قامت حول السُّنَن الإلهيَّة بشكلٍ عامٍّ، مثل:

١) "السُّنَن الإلهيَّة في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية" للدكتور/ عبد الكريم زيدان، وقصد هذا الكتاب أن يبصر المسلمين أفرادًا وأممًا وجماعات بسبل الخلاص مما حلَّ بهم من انحطاط وتخلف في ضوء السُّنَن الإلهية.

٢) "السُّنَن الإلهيَّة في الحياة الإنسانيَّة وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك"، لشريف الشيخ صالح، رسالة (دكتوراه)، جامعة أم القرى، مكة، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، وهدفت الرسالة إلى ذكر السُّنَن الإلهية المتعلقة بالحياة الإنسانية من هداية وضلال، وابتلاء وتمحيص، وبيان أثرها في عقيدة المسلمين وسلوكهم،

٣) "سُنَن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم" للدكتور/ حسن بن صالح الحميد، دار الفضيلة، الرياض، ط٢، ٢٠١١م، ومن أهم أهداف هذه الدراسة بيان منهج القرآن الشامل المتكامل لموضوع السُّنَن التي تحكم حياة الأمم من الناحيتين النظرية والتطبيقية.

وكل هذه الدراسات كانت عامَّة، ولم تتعرض إلى ذكر هذا السنة الإلهية العظيمة التي نعالجها في هذا البحث " سُنَّة نقص الأرض".

وهناك أبحاثٌ ذكرت سُنَن قيام الحضارات وانهيارها، مثل:

١) "سُنَن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها" للدكتور/ محمد هَيشور، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، (١٤١٧هـ/١٩٩٦)، ويهدف هذا البحث إلى دراسة سُنَن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها من منطلق القناعة بحاكمية السُّنَن القرآنية في التدبر والتأمل في عوامل قيام الحضارات، وأسباب انحطاطها، وتحدَّث في الفصل الرابع عن سُنَن القرآن في سقوط الحضارات، وفي الفصل الخامس عن سُنَن التجدُّد والاستبدال الحضاريّ في القرآن.

٢) "أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن" لسعيد محمد بابا سيلا، مجلة الحكمة، بريطانيا- ليدرز، ط١، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، وهدف البحث إلى ذِكْر نماذج من قصص الأمم الهالكة التي ذكرها القرآن، وذِكْر أبرز أسباب هلاكهم، ولكن الباحثَين لم يُشِيرا إلى سُنَّة نقص الأرض، مع أنَّ لها علاقةً وثيقةً بسُنَن سقوط الحضارات.

فيعد هذا البحث إضافة علمية جديدة لسنن قيام الحضارات وانهيارها مادة ومضمونًا، فلم تتطرق إليه البحوث السابقة، فتميز البحث بالتعريف بهذه السُّنة، وذكْر مظاهرها وتطبيقاتها الواقعية، والحقائق المترتبة على الفهم الصحيح لها.

حدود البحث:

عرضُ موضعي ورود سُنة نقص الأرض في القرآن الكريم ومدلولاتها اللغوية، وأقوال المفسرين فيها، والإفادة منها في فهم هذه السُّنة، والتعرُّف على مظاهرها والحقائق المترتبة عليها.

منهج البحث:

سلك الباحث في هذا البحث المنهج التحليليَّ والاستقرائيَّ، وذلك بجمع المادة العلميَّة المتعلِّقة من مظانِّها، ودراستها وتحليليها، وَفْقَ منهجيَّةٍ علميَّةٍ سليمةٍ.

خطة البحث:

يتألَّف البحث من تمهيدٍ، وأربعة مباحث، وخاتمة.

التمهيد: التعريف بالسُّنَن الإلهيَّة، وأنواعها.

المبحث الأول: الدلالة اللُّغَويَّة لـ(نقص الأرض من أطرافها).

المبحث الثاني: مواضع ورود سُنَّة نقص الأرض من أطرافها في القرآن الكريم، ودلالاتها المعنويَّة.

المبحث الثالث: مظاهر نقص الأرض من أطرافها، وتطبيقاتها الواقعيَّة.

المبحث الرابع: الحقائق المترتِّبة على الفهم الصحيح لسُنَّة نقص الأرض، والإفادة منها في المحافظة على مُقوِّمات الأُمَّة، ومكتسباتها الحضاريَّة الرائدة.

الخاتمة: وفيها أهمُّ النتائج، والتوصيات.

التمهيد: التعريف بالسُّنَن الإلهيَّة وأنواعها

السُّنَن لغة: جمع (سُنَّة)، وهي في أصلها اللُّغَويِّ[١] مشتقَّةٌ من: (سَنَّ) التي تعني: عَمِل عملًا يتمُّ به الاقتداء، ويُصبِح فيه أنموذجًا لغيره، فيتابعونه عليه، سواء أكان حسنًا أم قبيحًا، وجاءت لغةً لمعانٍ متعدِّدةٍ بينها قاسمٌ مشتركٌ، منها: الطريقة، والسيرة، والمنهج، والشريعة، والبيان القويم، والوضع، والاتِّباع، والعادة، والاقتداء، وكُلُّها تشترك في معنى أصليٍّ واحدٍ، وجمع "السُّنَّة": سُنَن، ولها الوجوه اللفظيَّة الآتية: السُّنَنُ، والسُّنُن، والسَّنَنُ، والسَّنِنُ.

السُّنَن في الاصطلاح:

للسُّنَن عِدَّةُ تعريفاتٍ بحسب العِلم الذي سِيقَت فيه، وحسبُنا هنا أن نُعرِّفها في موضوعنا الخاصِّ بالسُّنَن الإلهيَّة، فقد عرَّفها ابن تيمية -رحمه الله-(ت.٧٢٨هـ) بقوله: "كُلُّ عادةٍ كانوا عليها، فإنَّ السُّنَّة هي العادة، وهي الطريق التي تتكرَّر لنوعٍ من الناس ممَّا يَعُدُّونه عبادةً، أو لا يَعُدُّونه عبادةً"[٢].

وعرَّفها بعض المعاصرين بأنَّها: "آياتُ الله (وقوانينُه) في كَوْنِه، وخَلْقه، وعاداته في سالف زمانه، ومنهجه التشريعيُّ القائم في عباده"[٣].

إلَّا أنَّه يُستدرَك على هذا التعريف بأنَّ الوضوء –مثلًا- منهجٌ تشريعيٌّ قائمٌ، لكنَّه ليس سُنَّةً كونيَّةً، ولا يدخل بذاته ضمن السُّنَن التشريعيَّة، إلَّا أن يُقَالَ: سُنَّة الصلاة الطهارة (أي: نظام الصلاة قائمٌ على الطهارة، وليس المراد المصطلح الفقهي للسُّنَّة)، ويمكننا أن نُعرِّف السُّنَّة بالنظر إلى ماهيتها وخصائصها بأنَّها: "القانونُ الكَوْنِيُّ، أو التشريعيُّ المهيمنُ المُطَّرِدُ، مُثمِرًا عاقبةً جزائيَّةً، بناءً على سلوك الخَلْق".

والاطِّراد قد يكون اطِّرادًا كونيًّا، فِطْريًّا، قهريًّا، وقد يكون اطِّرادًا تشريعيًّا مطلوبًا، أو مرهوبًا.

وتتنوع السُّنَن إلى عدَّة أنواعٍ، نذكرها على سبيل الإجمال:

---

(١) ينظر: محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م)، ط١، ج: ٢، ص: ٢١١، إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٧م)، ط٤، ج: ٥، ص: ٢١٣٩، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ط١، ج: ٣، ص: ٦٠، علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، ط١، ج: ٨، ص: ٤١٧، محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ط٣، ج: ١٣، ص: ٢٢٦.

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، (بيروت: دار عالم الكتب، ١٩٩٩م)، ط٧، ج: ١، ص: ٢٥٤.

(٣) راشد بن سعيد شهوان، تأصيل علم السنن، مجلة القسم العربي، ٢٠٠٨م، عدد ١٥، جامعة بنجاب لاهور بباكستان، ص: ١٧، ١٨.

النوع الأول: السُّنَن الكونيَّة الماديَّة الثابتة (سنن الطبيعة): وهي القوانين الفيزيائيَّة، والكيمائيَّة، والحيويَّة، والكونيَّة التي جعل الله ﷻ الكون مُرَكَّبًا وَفْقَ قوانينها.

النوع الثاني: السُّنَن الشرعيَّة: وهي القوانين الإلهيَّة التي حكم الله ﷻ بأن يُطبِّقها الخَلْق في واقعهم.

النوع الثالث: السُّنَن الاجتماعيَّة المعتادة: وهي السُّنَن الإنسانيَّة الاجتماعيَّة الواقعيَّة، وقد تُخَالِف السُّنَن الكونيَّة والشرعيَّة وتُضَادُّهما، وقد تأخذ منهما، وتسير وَفقًا لهما، وهذه السُّنَن اختياريَّةٌ.

النوع الرابع: سُنَن التغيير الثابتة: وهذا النوع ينتمي إلى الأنواع السابقة، لكنَّه أُفرد لأهمِّيَّته، فالمراد بها السُّنَن التي تُسبِّب التحوَّل من حالة الضعف إلى حالة القوة، والعكس، ومن حالة الازدهار إلى حالة الانهيار والعكس، وهكذا(١).

وتندرج سُنَّة "نقص الأرض" ضمن السُّنَن الإلهيَّة الشرعيَّة والاجتماعيَّة في تداوُل الأيام.

المبحث الأول: المدلول اللُّغوي لـ(نقص الأرض من أطرافها)

تتكون هذه السُّنَّة الإلهيَّة من أربع كلمات، وسنشير إلى معانيها اللُّغويَّة على وجه الاختصار؛ لتكون مدخلًا إلى أقوال المفسِّرين فيها.

أولًا: المدلول اللُّغويُّ لكلمة (نقص)(٢):

النَّقْص: خِلَافُ الزِّيَادَةِ، وعرفه الراغب بأنه: الخُسْرَانُ في الحَظِّ، كما قال تعالى: ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ﴾ (البقرة: ١٥٥)، فتقول: نَقَصَ الشَّيْءُ نُقصانًا، وَنَقَصْتُهُ أَنَا، وَهُوَ مَنْقُوصٌ، وَالنَّقِيصَةُ: الْعَيْبُ، يُقَالُ مَا بِهِ نَقِيصَةٌ: أي عيب ينقص من كمال قدره.

فالنقص: ذهاب من أصل الشيء كالرُّطَب يَنْقُص إذا يَبِس وصار تَمرًا، وبذا أُطلِق النقص على الخسران؛ لأن الناقص خسر شيئًا كان موجودًا في الأصل، وقد يعني النقص التدرج في الذهاب، فيذهب الجزء بعد الجزء، وقد يكون دفعة واحدة.

---

(١) جعلها د. راشد شهوان أربعة أنواع: السنن الكونية، والتاريخية، والإنسانية، والتشريعية. ينظر: شهوان، تأصيل علم السنن، ص: ٦٠.

(٢) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج: ٥، ص:٤٧٠؛ الحسين بن محمد الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (بيروت: دار القلم، ١٤١٢هـ)، ط١، ص: ٨٢١.

ثانيًا: المدلول اللُّغَوِيُّ لكلمة (الأرض)[١] :

تدل على ما يكون أسفل معينًا لما فوقه على الحياة أو الوجود، ولهذا المعنى فالأصل أن كلمة أرض تطلق على ما يلين ويطيب لما هو عليها، فيقال: أَرْضٌ أَرِيضَةٌ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَتْ لَيِّنَةً طَيِّبَةً، قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ[٢]:

بِـــــلَادٌ عَرِيضَـــــةٌ وَأَرْضٌ أَرِيضَـــــةٌ مَـــدَافِعُ غَيْـــثٍ فِـــي فَضَـــاءٍ عَـــرِيضِ

والأَراضة: الخِصْبُ وحسن الحال، ومن ذلك الْأَرْضُ: الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا، وَتُجْمَعُ أَرَضِينَ، وَلَمْ تَجِئْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَجْمُوعَةً، وتطلق على كلِّ بقعة منها، وبذا يكون تعريف الأرض في بحثنا: كلُّ مكان صار أساسًا لما يكون عليه، ومن يعيش فوقه من الإنسان وبقية الأحياء، وتمتد هذه الأرض لتشمل رقعة واسعة تصلح لتكون مستقلة عُرْفًا عن غيرها مثل الدُّول.

ثالثًا: المدلول اللُّغَوِيُّ لحرف (مِن):

(مِن) بكسر الميم: حرفٌ خافضٌ، وتَأتي على خَمْسَة عشر وَجها كما ذكر ابن هشام –رحمه الله–[٣]

منها: ابتداء الغاية، كقولك: خرجت مِنْ بغدادَ إلى الكوفة، ويظهر أنَّه هنا لابتداء الغاية، فالنقص يبدأ من الأطراف، ثمَّ يصل إلى الوسط.

رابعًا: المدلول اللُّغَوِيُّ لكلمة (أطرافها):

طَرَفُ الشيءِ[٤]: حدُّ الشيء، وجانبُهُ، ويُستَعمَل في الأجسام، والأوقات، وغيرهما، ومنه استُعِير: هو كريمُ الطَّرَفَيْنِ، أي: الأب والأمّ. وقيل: الذَّكَرُ واللِّسَانُ، إشارة إلى العفَّة، وطَرْفُ العينِ: جَفْنُهُ، والطَّرْفُ: تحريك الجفن، وعبَّر به عن النَّظر؛ إذ كان تحريكُ الجَفْن لازمه النَّظر.

والمراد بالأطراف هنا: جوانب الأرض المادية والمعنوية، وإذا تقرَّر أن الأرض كلُّ مكانٍ يصلح أساسًا لما يقوم عليه من الأحياء، فتكون جوانبُها أطرافَها البعيدة التي تمثل حدودًا لها، وهذه الجوانب تصبح أدوات حماية حقيقية لها، وسنفيد من هذه الفكرة في الجمع بين المعاني الواردة في تفسير الآية.

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة ج: ١، ص: ٧٩، الأصفهاني، المفردات، ص: ٧٣، محمد حسن حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠م)، ط١، ج: ٢، ص: ٨١٠.

(٢) عبد الله بن يوسف ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م) ط٦، ص: ٤١٩، وانظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج: ٦، ص: ٢٢٠٨، ٢٢٠٩.

(٣) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث، ديوان امرئ القيس، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، (بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤)، ط٢، ص: ١٢١.

(٤) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج: ٣، ص: ٤٤٧، الأصفهاني، المفردات، ص: ٥١٧.

والمراد بالأطراف هنا: الجوانب، أخذًا من الأصل الأول، وتخصيصُ قطعِ الطَّرَفِ من حيث إنَّ تنقيصَ طَرَفِ الشَّيءِ يُتَوَصَّلُ به إلى توهينه وإزالته، ولذلك قال: ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ (الرعد: ٤١)"[١]، وقد يُرَاد بالأطراف: العلماء، فإن من معاني الطَّرَفِ الكريمَ، قال مكيٌّ: "والأطراف جمع طرف، والطَّرف: الكريم من كلِّ شيء"[٢].

ومعنى الكلمات الأربع مجتمعة: نقص جزئيٌّ، أو كليٌّ يحدث لجوانب الأرض، أو لخيار أهلها بموت، أو نفي، أو فَقْدٍ.

(١) ينظر: الأصفهاني، المفردات، (ص ٥١٧).

(٢) القيسي، مكي، (٢٠٠٨م)، الهداية الى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، ط١، الشارقة، جامعة الشارقة، (ج٥/ص٣٧٦١).

المبحث الثاني

مواضع ورود سُنَّة نقص الأرض من أطرافها في القرآن الكريم، ودلالاتها المعنويَّة

وردت هذه السُّنَّة الكونيَّةُ الشرعيَّة في موضعين:

الموضع الأول: ﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ (الرعد: ٤١).

ما العلاقةُ بينها وبين اسم سورتها؟

الرعد ظاهرةٌ كونيَّةٌ، ومُجرَّد أن تربط بينها وبين اسم السورة يتراءى لك القدرةُ الإلهيَّةُ، كما تشعر بأنَّ هذه السُّنَّة كونيَّةٌ يُظهِرُ اللهُ ﷻ من خلالها إحاطتَه بالأحداث، ويُسلِّط هذه السُّنَّة على الغافلين.

الموضع الثاني: ﴿بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ (الأنبياء: ٤٤).

ما العلاقة بينها وبين اسم سورتها؟

الأنبياء هُدَاةُ النظام الشرعيّ، ومُجرَّد أن تربط بينها وبين اسم السورة، وسياق الآية حتى تشعر بأنَّها سُنَّةٌ شرعيَّةٌ يصنعها البشر بغفلتهم، وذهولهم عن القيام بمسؤولياتهم عندما يحاربون أنبياءهم، ويضادون مصلحيهم.

فهاتان الآيتان تضعان سُنَّةً عامَّةً، وقانونًا شاملًا لسكان العالم، مهما كان دينهم، إنَّ هذه السُّنَّة قانونٌ مرعبٌ، لا بُدَّ من الانتباه له.

فما معنى هذا القانون "نقص الأرض من أطرافها"؟

الجواب: ذكروا في معنى نقصان الأطراف خمسة أقوالٍ متداخلةٍ[١]، ويمكن جَعْلُها جميعًا معانيَ للآية بعد حذف التداخل بما وُهب لفظ الآية من كسوة العموم:

---

(١) ينظر: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ط١، ج: ١٦، ص: ٤٩٦، علي بن محمد الماوردي، علي، النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت)، د.ط، ج: ٣، ص: ١١٩، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ)، ط٣، ج: ٤، ص: ٣٤٠، محمد بن عمر الرازي، محمد، مفاتيح الغيب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ط٣، ج: ١٩، ص: ٥٣.

أحدها: ما يفتح الله ﷻ على نبيِّه ﷺ من الأرض، حيث دخل في نفوذه المناطق التي تحيط بمكة، وهي أطراف بالنسبة لدولة قريش فيها، وهذا تفسيرٌ مرويٌّ عن ابن عبَّاسٍ ﷺ، وقال مقاتل رحمه الله-: "﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ﴾ يعني: كُفَّار مكَّة ﴿أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ﴾ يعني: أرض مكَّة ﴿نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ﴾ يعني: ما حولها"(١)، ويصوِّر لنا هذا التفسير نفوذ دولة قريش في مكَّة، وهو يتناقص حولها، ويوشك أن يصل إلى قلبها.

وهذا تفسيرٌ واقعيٌّ صحيحٌ، ويُشْكِل عليه: أنَّ كلتا السورتين مكيَّةٌ، فكيف تناقص نفوذ مكَّة في الفترة المكِّيَّة، وهم كانوا في أَوْجِ قوتهم؟ إلا أن المعنى في الجملة صحيح، ويقال: الآيتان المكيتان تنذران قريشًا بما ستؤول إليه الأمور بالنسبة لهم، كما حدث لغيرهم في العالم.

والثاني: أنَّها القرية تَخْرَبُ حتى تبقى الأبياتُ في ناحيتها(٢)، وهذا التفسير الثاني المرويّ عن ابن عبَّاس ﷺ، لكنه مُشْكِلٌ، فالله ﷻ يُخبِرُنا أنَّها تَنْقُص من أطرافها، وهذا التفسير يُخْبِرُنا بأنَّ الأبيات تبقى في أطرافها، فكأن خرابَ وسطِها وعواصمِها يؤدِّي إلى التشريد إلى أطرافها، ويمكن أن يُقَال: هو تفسيرٌ بالنتيجة، أي: بعد أن تَخْرَب الدولة، ويذهب نظامها يبقى أُناسٌ منها في أماكنَ متفرّقةٍ في أطرافها لا يُؤْبَه لهم، والواقع يشهد أن الناس ينزحون ويتشردون إلى الأطراف حيث يكون المركز قد تحطَّم، وأصبح طاردًا بدل أن يكون جاذبًا.

والثالث: أنَّه نَقْصُ أهلِها وبركتها، وهو التفسير الثالث عن ابن عبَّاسٍ ﷺ، وقال الشَّعْبِيُّ -رحمه الله- (ت.١٠٤هـ): "نقص الأنفس والثمرات"(٣)، وهذا تفسيرٌ صحيحٌ؛ لأنَّ نقص الأنفس، والثمرات، والبركة يعني تضاؤل وجود الأقوات والاحتياجات، فيظفر بها في الغالب أصحاب الوسط حيث الكثافة السُّكَّانيَّة، ويبقى أصحاب الأطراف في ضياع.

والرابع: أنَّه ذَهابُ فقهائها، وخِيار أهلها، الذين يحافظون على أمنها الفكري والقومي، ولا يشتغلون بالملذات والشهوات عن الواجبات، وهو التفسير الرابع عن ابن عبَّاس ﷺ(٤).

---

(١) ينظر: مقاتل بن سليمان الأزدي، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود شحاته، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ)، ط١، ج: ٢، ص: ٣٨٣٨، علي بن أحمد الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م)، ط١، ج: ٣، ص: ٢٠، ابن الجوزي، زاد المسير، ج: ٤، ص: ٣٤٠.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ج: ٤، ص: ٣٤٠.

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير، ج: ٤، ص: ٣٤٠.

(٤) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج: ١٦، ص: ٤٩٦، محمد بن يوسف أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، د.ط، ج: ٦، ص: ٤٠٠.

وهذا تفسيرٌ في مَحلِّه؛ فإنَّه يعني أن تذهب القيادات العلميَّة والإداريَّة العاقلة التي تحرس البلاد، وتُعِين على تنميتها، فإذا ذهبت بقيت الحثالات، أو نُصِّبت الرُّوَيْبِضَات لأجل أن تُدمِّر البلاد.

وما ورد عن ابن عباس ﷺ من الرِّوايات المتعدِّدة نتعامل معها وَفْق ما قرَّره علماء أصول التفسير من حَمْلِ تفسير السَّلف على ضرب المثال في الغالب، ما دامت الرِّوايات لم تتناقض، ولذلك تقبل جميعًا، وهذا هو الذي نحمل عليه التأويلات التي وردت عنه ﷺ في هذا الموضوع.

والخامس: خرابها بعد العمارة[١]، ولكن هذا التفسير يمثل النتيجة الكلية، فبعد نقص الأرض من أطرافها، وذهاب قياداتها العلمية، والعدلية تتسلط عليها الأطماع الخارجية، والسَّفَه الداخلي، فتخرب بعد إذ كانت عامرة.

وذكر المَاوَرْدِيُّ -رحمه الله- (ت.٤٥٠هـ) احتمالاً سادسًا، وهو: "جَورُ وُلاتِها"[٢]، وهو تفسيرٌ تفصيليٌّ لأهمِّ أسباب نقص الأرض من أطرافها حيث يتسبب الجور في إهمال الأطراف لتكون نهبًا للمجرمين، وقد يصبحون وكلاء لمن يطمع في الأرض من المتربصين بها من الخارج، وحينها ينقضون عليها، وفي الجانب الخير فإن الصالحين لا يهاجمون مركز الإجرام، وهو يتميز بالحماية، بل يقطع أوصاله بفتح ما حوله من الأطراف، ويؤذن ذلك بخراب المركز.

لعلَّك تسأل: ما الراجح من هذه المعاني؟

حاول الإمام الطبري -رحمه الله- (ت.٣١٠هـ) الاستقواء بالسياق في سورة الرعد لترجيح المعنى الأول من هذه المعاني الثَّريَّة، فقال: "وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: بظهور المسلمين من أصحاب محمَّد ﷺ عليها، وقهرهم أهلها، أفلا يعتبرون بذلك، فيخافون ظهورهم على أرضهم، وقهرهم إيَّاهم؟ وذلك أنَّ الله توعَّد الذين سألوا رسوله الآيات من مشركي قومه بقوله: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ...﴾ (الرعد: ٤٠)، ثُمَّ وبَّخهم -تعالى ذِكْرُه- بسوء اعتبارهم بما يُعَايِنون من فعل الله ﷻ بضُرَبائِهم من الكُفَّار، وهم مع ذلك يسألون الآيات، فقال: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا

(١) محمود بن حمزة الكرماني، غرائب التفسير وعجائب التأويل، (جدة/بيروت: دار القبلة للثقافة/ مؤسسة علوم القرآن، د.ت)، د.ط، ج: ١، ص: ٥٧٢.

(٢) الماوردي، النكت والعيون، ج: ٣، ص: ١١٩، وينظر: الكرماني، غرائب التفسير وعجائب التأويل، ج: ١، ص: ٥٧٢، محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (دمشق/بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ)، ط١، ج: ٣، ص: ١٠٨.

نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ﴾ (الرعد: ٤١) بقهر أهلها، والغلبة عليها من أطرافها وجوانبها، وهم لا يعتبرون بما يرون من ذلك"[١].

والصحيح الجمع بين هذه المعاني جميعًا، فهي قابلة للجمع، وكلُّها تتعلق بهذه السنة العظيمة، ونلخصها في الآتي:

أولًا: ما فتح الله ﷻ على نبيِّه ﷺ من الأرض، حيث دخلت في نفوذه المناطق التي تحيط بمكة، وهي أطراف بالنسبة لدولة قريش فيها، ومثل كلِّ ما يُفتح للمسلمين؛ فإن الفتح لا يبدأ إلا من الأطراف حتى تنقض المراكز، وفي مقابل ذلك فإن كل حركة تغييرية إلى الأسوأ تحاول البدء بالأطراف حتى تتمكن من محاصرة المركز.

ثانيًا: وإذا كان التغيير سيئًا فإن خراب الوسط والمراكز يؤدِّي إلى تشريد سكان الدول إلى أطرافها، بل ربما إلى أطراف غيرها من الدول المجاورة، ويصبح المشرَّدون غير ذي قوة أو بأس على النظام الجديد الذي استولى على المراكز.

ثالثًا: ومن أهمِّ أسباب انهيار الدول، ونقض المراكز نقص الأنفس، والثمرات، والبركة مما يؤدِّي إلى بيع الولاءات مقابل الحصول على الأقوات أو تنمية الثروات.

رابعًا: ومن أهم أسباب انهيار الدول أيضًا ذَهابُ فقهائها، وخِيار أهلها، وقياداتها العلمية، والعدلية الذين يحافظون على أمنها الفكري والقومي، ولا يشتغلون بالملذات والشهوات عن الواجبات.

خامسًا: "جَورُ وُلاتِها" ومسؤوليها من أهم أسباب نقص الأرض من أطرافها.

سادسًا: وإذا حدث ما سبق فإن هذه الأرض أو تلك الدول تخرب بعد العمارة، وتصبح متلاعبًا بها بعد القوة والحضارة، وتتسلط عليها الأطماع الخارجية، والسفه الداخلي.

---

(١) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج: ١٦، ص: ٤٩٧، ٤٩٨.

المبحث الثالث: مظاهر نقص الأرض من أطرافها، وتطبيقاتها الواقعية

شكل رقم (١) مظاهر نقص الأرض من أطرافها

لقد كان الطَّبَريُّ -رحمه الله- ثاقبَ البصر، تمتلئ بصيرته بالنور عندما لخَّص معاني نقص الأرض من أطرافها.. فلعلَّك تكون معي لِنُفِيدَ من منهجيَّته العلميَّة في عدم الاكتفاء بما قاله، ولنحاول إعمال المعاني السِّتَّة في فَهْمِ هذه السُّنَّة، فنذكر مظاهرها وتطبيقاتها الواقعيَّة.

أولًا: نقص أهلها وبركتها:

فأمَّا نقص أهلها فأنت ترى هذه الأيام أنَّ الصين المليارِيَّة تدقُّ ناقوس الخطر في نقصان عدد سكانها، وتتخلَّى عن السياسية الصارمة التي تُحدِّد عدد المواليد بواحد، وهنا تعجب ممَّا يُسمِّيه بعض المغفلين بالانفجار السكاني، فالثروة البشرية مهما تكاثرت إن وُجِدَت إدارةٌ حكيمةٌ راشدةٌ صارت عامل قوة لا نظيرَ له.

وأمَّا نقص بركتها فيعني الأزمات المالية التي تَحِيق بها، وعبَّر الشَّعبِيُّ -رحمه الله- عن ذلك بأنَّه نقصُ الأنفس والثمرات، وإذا كان مُعدَّل الولادات في العالم الإسلامي لا يدُلُّ على التناقص البشري، بخلاف كثيرٍ من دول العالم التي تصيبها هذه الظاهرة، فإنَّ نقص الأنفس في العالم الإسلامي يمكن فَهمُه عند ما ترى غثاءً كغثاء السيل، فبدلًا من أن يكون التمدُّد السُّكَّانيُّ نعمةً، كما هو الحال في الصين، يصبح انفجارًا تخريبيًا عند مَنْ يتعامل مع النعمة على أنها محنة ومصيبة ونقمة.

ثانيًا: من نقص أهلها ونقص بركتها: عدم الإفادة من أطرافها الجغرافية، مع أنَّها قد تكون مليئةً بالخيرات، عامرةً بأعظم الطاقات الاستثماريَّة، والاقتصاديَّة، والبشريَّة:

فبسبب بعد الأطراف عن المركز يتمُّ إهمالها، فسل عن ذلك أطرافَ اليمن، ومصر، والسودان، والجزائر، والمغرب، وسائر تلك البلدان التي ربما ترى عند التنقيب أن بركات الأطراف فيها أعظم من بركات الوسط الذي يُجبَى إليه ثمرات الأطراف، لكنَّك لا تجد الاهتمام الواضح بتلك الأطراف، ويحدث الانحسار الحضاري، أو الانهيار الأمني من الأطراف غالبًا، "وإنَّ يد الله ﷻ القوية لَبَادِيةُ الآثار فيما حولهم، فهي تأتي الأمم الغنية -حين تَبْطَرُ، وتَكْفُر، وتُفْسِد- فتُنقِصُ من قوتها، وتُنقِصُ من ثرائها، وتُنقِصُ من قَدْرِها، وتَحصُرُها في رقعةٍ ضيِّقةٍ من الأرض، بعد أن كانت ذاتَ سلطانٍ، وذاتَ امتدادٍ"(١).

ثالثًا: ذهاب أطراف الدول بخروجها عن السيطرة، وجَعْلِها مرتعًا للتمرُّد؛ فإنَّه مؤذنٌ بزوال مركزها:

فألقِ عصا يقظتك لترى الجانب المشرق للاستفادة النبويَّة من هذه السُّنَّة؛ إذ صَالَحَ النَّبيُّ ﷺ قريشًا، وكان ذاك الصلحُ فتحًا مبينًا، فتفرَّغ النَّبيُّ ﷺ للأطراف المحيطة بالمدينة ومكَّة إمَّا صلحًا، وإمَّا عُنوَةً، وإمَّا بدخولها في الإسلام، فتآكلت الأطراف المؤيِّدة للحكم الوثني المسيطر على مكة، ممَّا أدَّى إلى الانهيار الأمني التدريجي للبُؤَر المعادية التي كانت تحيط بالمسلمين، ومن ذلك فتح حصون النضير، وقريظة، وخيبر، فنقص النَّبِيّ ﷺ أطراف أراضي الدول الوثنيَّة والكفريَّة الواسعة؛ تمهيدًا لفتح مركزها وهو مكة، وهذا التفسير الأول الوارد في هذه الآية ترى أنَّه يُمثِّل جزءًا تطبيقيًّا لهذه السُّنَّة العظيمة.

وفي مقابل فتح النبي ﷺ تستغل القوى المتمردة على أي دولة أطراف الأراضي لتتمكن من السيطرة، حيث تجد أن القرى الواقعة في الأطراف مهملة بل هي أقرب إلى الخلو من الخدمات، فلا تبقى فيها إلا الأبيات القليلة في ناحيتها، وقد تتمُّ السيطرة عليها من قبل قوى التخريب، والفساد،

(١) سيِّد قطب، في ظلال القرآن، (بيروت/القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٢هـ)، ط١٧، ج: ٤، ص: ٢٠٦٥.

والعدوان، وانظر كيف استطاع العباسيون أن ينقضوا دولة شامخة مثل الدولة الأموية ابتداء من أطرافها أي من خراسان.

رابعًا: ذهاب فقهائها، وخيار أهلها:

وذلك لأنَّ مركز صناعة القرار أصبح بيد مجموعة من الظلمة الفاسدين، ونؤكد هنا إلى أنه يجب تقدير العلماء، ورفع شأنهم، والاهتمام بهم، وحمايتهم، وتذليل سبل العيش الكريم لهم؛ حتى يكون لهم الأثر الطيب النافع، وكي لا يضطروا إلى ترك أوطانهم، فتفقد الأمة أهم أركان نهضتها، وللأسف الشديد فقد أصبح العلماء في كافة المجالات والتخصصات يفرون من بلاد المسلمين إلى دول الغرب؛ من أجل الحماية البدنية، والنفسية، وغيرها التي توفرها لهم تلك البلدان، بغرض الاستفادة منهم ومن خبراتهم.

وبذا ترى اجتماع المعاني التي ذكرها علماؤنا في معنى (نقص الأرض من أطرافها)، وممَّن أشار إلى أنَّ النَّقْصَ يشمل كُلَّ هذه المعاني الشيخ محمد المكي (ت. ١٤١٤هـ)، حيث قال: "والنقص من أطرافها يَصْدُق بالنقص من الأموال والأنفس والثمرات، كما يَصْدُق بالاستئصال والإبادة، والاستعباد وفقدان الحريات، وهكذا يصبح الطاغية مستضعفًا، وينقلب الغالب مغلوبًا، ومن ذلك - أيضًا- تقلُّص اليابسة والخضرة أمام زحف البحار والصَّحَارَى"[(١)].

خامسًا: سرقة العقول من أهمِّ مظاهر نقص الأرض من أطرافها:

من أعظم نقصان الثروة البشريَّة العلميَّة سرقةَ العقول التي هي أسوأ حالًا من سرقة الأموال -كما يقرِّر البشير الإبراهيمي[(٢)]-، وهل هناك أبشع سرقةً من أن يُقدِّم المرء مالَه للصوصٍ أَعْيَتْهم الحِيَلُ أن يتمكَّنوا من سرقته؟ فانظر كيف سلَّمنا عقول أولادنا، ورجال مستقبلنا، وطاقاتنا الواعدة لمصاصي دماء البشر؛ ليقوموا بتشكيلها خُلُقًا وأدبًا كيفما شاؤوا، ضمن مُسمَّيَات المدارس الأجنبيَّة غير المراقبة، أو البعثات العلميَّة السائبة؟

بل وصل الأمر إلى المجيء بلصوص العقول، وتشغيل بطالتهم، وملء جيوبهم بما يساعدهم على إكمال مهمَّة تدمير الأمن القومي.. هذا –وعظمة ربك- نقصٌ للأرض من أطرافها، بل تحويل أطرافها إلى أسلحةٍ مستقبليَّةٍ تُعمِل نصالَها في جسدها.

---

(١) محمد المكي الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥م)، د. ط، ج: ٤، ص: ١٢٣،١٢٤.

(٢) ينظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج:٣، ص:٣١٦.

وفي الأُمَّة المسلمة، في عصورها المظلمة هذه الأيام ترى الحسَّ الأمنيَّ عاليًا جيَّاشًا في قضايا الأمن الدفاعيِّ المباشرة -إعلاميًّا على الأقل-، لكنَّك لا ترى التنبُّه إلى هذا النوع من نقصان الأرض من أطرافها إلا ضعيف الحضور.

إنَّ التوسُّع الاستعماريَّ لا يعني بالضرورة قضم الأرض الحسيَّة، بل يتمُّ من خلال نقص أطراف الأرض ليُحقِّقَ التوسُّعات السياسيَّة، والاقتصاديَّة، والثقافيَّة، وتكون الأرض من الناحية الجغرافيَّة بعد ذلك (ملكَ يمين) المحرّك الخارجي، يُديرها من خلال عبيده المسخَّرين، يشعرون أو لا يشعرون. فخبِّرني -أيَّدك الله- مَن الذي يتحكَّم في تجارة أعظم الثروات تأثيرًا على الواقع الأرضي في بلاد المسلمين؟ سَلِ الشركات عابرات القارَّات عن الأمان الذي تجده في ليبيا، واليمن، وقبائل الحروب حولها يُهْرَاق دماؤها، وحروب القبائل حولها تظلُّ نَشِطةً مُستَعِرةً لا تهدأ.

هذا القانون المُرعِب (نقص الأرض من أطرافها) يشمل المسلمين، ويقع ضحيَّتَه الغافلون دون أن يسأل عن جنسيتهم، أو جنسهم، أو دينهم، وقد تمادت الغفلة ببعض المسلمين فظنُّوه خاصًّا بالكفار، بدليل السياق في سورة الرعد والأنبياء. ولعلَّ هذا الظنَّ أَوجَبَتْه الغفلة عن شمول النَّصِّ القرآنيِّ وعمومه، كذلك يُصاب المنذَرون بالغفلة المُرَكَّبة عند ما يسترخون في مُتَّكَآت الأمن من مكر الله ﷻ ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ (الأعراف: ٩٩).

نعم! إنَّ الله ﷻ يُبيِّن أنَّ المسلمين -وإن شَمِلهم هذا القانون الواقعي المُخِيف- ستؤول لهم العاقبة بعد معاناة، يُراجِعون من خلالها دينهم، يظهر هذا من سياق الآية في سورة الرعد حيث قال الله-عزَّ جارُه-: ﴿وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ (الرعد: ٤٢)، لكنَّ هذا لا يعني ألا تُقتَطَعَ أطراف بلادهم، وينال وسطَها الأذى، والزلزلة، وأن يَئِنُّوا من فرط البلاء حتى يقولوا: متى نصر الله؟

إنَّ هذه السُّنَّة من القوانين التي لا يمكن التعقيب على حكم الله ﷻ فيها؛ والواجب أن يعقد المسلم قلبه على هذه العقيدة، وأن يعمل بمقتضياتها؛ إذ إن الله -عزَّ شأنُه- قال بعد ذكر هذه السنة في سورة الرعد: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ (الرعد: ٤١)، والمعقِّب: الذي يَكُرُّ على الشيء فيُبطِله، وحقيقته: الذي يَعْقُبُه، أي: يُقَفِّيه بالردِّ والإبطال، ومنه قيل لصاحب الحقِّ: مُعَقِّب؛ لأنَّه

يقتفي غريمه بالاقتضاء، والطلب، والمعنى: أنَّه حكم للإسلام بالغلبة، والإقبال، وعلى الكفر بالإدبار، والانتكاس ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾، فعمَّا قليلٍ يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا(١).

سادسًا: النقص حاصلٌ لأطراف الأرض الحسية على الحقيقة:

وهذا ما أثبته الباحثون في التفسير العلمي للقرآن، وخلاصةُ ما ذكروه أنَّ الأرض يَرِد في القرآن بمعنى الكوكب ككُلٍّ، وبمعنى الأرض اليابسة التي نحيا عليها، وبمعنى التربة التي تُغَطِّي الصخور اليابسة، ولإنقاص الأرض من أطرافها في إطار كُلِّ معنى من تلك المعاني عددٌ من الدلالات العلميَّة، وهي باختصار:

أولًا: في إطار دلالة كلمة الأرض على الكوكب ككُلٍّ يكون إنقاص الأرض بمعنى:

١) انكماشها على ذاتها، وتناقص حجمها باستمرار.
٢) تَفَلْطُحِها قليلًا عند خطِّ الاستواء.
٣) اندفاع قيعان المحيطات تحت القارات وانصهارها؛ وذلك بفعل تَحَرُّك ألواح الغلاف الصخري للأرض.

ثانيًا: في إطار دلالة كلمة الأرض على الأرض اليابسة التي نحيا عليها يكون إنقاص الأرض بمعنى:

وفي هذا الإطار نجد معنيين علميين:

١) أخذ عوامل التعرية المختلفة من المرتفعات السامقة، وإلقاء عوامل التعرية في المنخفضات من سطح الأرض حتى تتمَّ تسوية سطحها.
٢) طغيان مياه البحار والمحيطات على اليابسة.

ثالثًا: في إطار دلالة كلمة الأرض على التربة التي تُغَطِّي الصخور اليابسة، وإنقاص الأرض هنا بمعنى التَّصَحُّر، أي زحف الصحراء على المناطق الخضراء، وانحسار التربة الصالحة للزراعة، في ظلِّ إفساد الإنسان بيئةَ الأرض.

وهذه المعاني الستة -منفردةً أو مجتمعةً- تُعْطِي بُعْدًا علميًّا لمعنى إنقاص الأرض من أطرافها، ولا يتعارض أبدًا مع الدلالة المعنوية للتعبير؛ بمعنى خراب الأرض الذي استنتجه المفسِّرون، بل يُكَمِّلُه ويُجَلِّيه(٢).

---

(١) محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ط٣، ج: ٢، ص: ٥٠٣.

(٢) ينظر: زغلول راغب محمد النجار، من آيات الإعجاز العلمي: الأرض في القرآن الكريم، (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٥م)، ص: ١٥٣-١٦٥.

المبحث الرابع

الحقائق المترتِّبة على الفهم الصحيح لسُنَّة نَقْص الأرض، والإفادة منها في المحافظة على مُقوِّمات الأمة، ومكتسباتها الحضاريَّة الرائدة

شكل رقم (٢) الحقائق المترتبة على الفهم الصحيح لسُّنة نقص الأرض

في هذا المبحث أحاول تلخيص الحقائق الاستراتيجية التي تترتَّب على إدراك هذه السُّنَّة، وإعمال هذا الإدراك لتحقيق الأمن الشخصي والقومي، والازدهار، والعيش الرغيد، وما يترتَّب على إهمالها من عواقبَ وخيمةٍ؛ كتخريب الديار، وانهيار الدول، وتَسَلُّط الأعداء.

الحقيقة الأولى: حماية الأطراف التي تُحَدِّد الوجود المكاني (الجغرافي) للأُمَّة، والعمل على تنميتها، وعدم إهمالها.. يجب الحذر من الاعتماد على أمن الوسط:

تأمَّل في التاريخ القديم كيف خرجت الحركات السِّرِّيَّة-العلنيَّة التي قضت على الدولة الأُمَويَّة من أطرافها؛ إذ خرجت من خراسان والمناطق النائية حتى قضت على العاصمة دمشق آخر المطاف(١)، وتأمَّل في التاريخ الحديث كيف يبدأ المتمرِّدون من أطراف الأرض، وكيف تأكل الأنظمة الغازية موانئ البلاد وجُزُرَها.

فالطَّرَفُ هو: النَّاحِيَة النائية، الَّتِي هِيَ مُنْتَهَى المكَانِ، وغالبًا ما ينتشر الجهل في أهل المناطق النائية إلَّا أن يكتنفهم العِلمُ، وتحنو عليهم الأُمَّة بالعناية، والرعاية، ويُبَصِّر النَّبِيُّ ﷺ ثَوْبَانَ مولى النَّبِيِّ ﷺ بذلك، فيقول: «يا ثَوْبَانُ، لا تَسْكُنِ الكُفُورَ؛ فإنَّ ساكنَ الكُفُورِ كساكنِ القُبورِ»(٢)، وأَرَادَ بالكُفُور الْقرى النائية عَن الْأَمْصَار، ومجتمع أهل الْعلم وَالمسْلمين، فالجهل عَلَيْهِم أغلب، وهم إِلَى البِدع والأهواء المُضِلَّة أسْرع(٣).

ماذا تقتضي هذه الحقيقة؟

أولًا: تقتضي إقامة الحكم المركزي و(اللامركزي) في الوقت نفسه؛ إذ يؤدِّي ذلك إلى إثارة الاهتمام بالمناطق المختلفة عن طريق أهلها، والعمل على مدِّهم بالرعاية التامَّة؛ بإيجاد المشاريع العلميَّة التي تُحفِّز فيهم الإبداع والعطاء العقلي، وافتتاح المشاريع الاقتصاديَّة التي تُشعِرُهم بالولاء والقرب من المراكز الأساسيَّة للأُمَّة، وإقامة العدل في التعامل معهم، والحبِّ الذي يُذَلِّل عريكتهم، وفي بداية نشأة الأمة الإسلامية رأينا تطبيقًا لذلك، فكلُّ المراكز البعيدة عن (أمِّ القرى) تُعَدُّ طرفًا، وذلك مثل بلاد اليمن، والعراق، والشام، والمغرب الكبير، وبلاد خراسان، وقد كان الحكم فيها فيه نوع من الاستقلال الذاتي في الوقت الذي كانت فيه العاصمة المدينة أو دمشق أو بغداد، ثم طرأ الضعف في التواصل مع تلك الأطراف، فكانت مسرحًا خطيرًا لنشوء حركات الاستقلال.

ثانيًا: من أهمِّ المُهِمَّات الأمنيَّة: الاعتناء بالعدالة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة مع أصحاب الأطراف؛ لأنَّهم يكونون مغمورين مغبونين، ويتمُّ التركيز على العواصم والحواضر، وقد فَطِن الوزير نظام

---

(١) ينظر: الحركات السرية في الإسلام ص٧٠-٨٨.

(٢) محمد بن إسماعيل البخاري محمد، الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٩م)، ط٣، بَابُ سَاكِنِ الْقُرَى، ص: ٢٠٣، رقم الحديث (٥٧٩)، وسليمان بن أحمد الطبراني، مسند الشاميين، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤م)، ط١، ج: ٢، ص: ٩٩، حديث رقم الحديث (٩٨٦)، وحسَّنه الألباني، ينظر: محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، (بيروت، دمشق: المكتب الإسلامي، ١٩٨٨م)، ط٣، ج: ٢، ص: ١٢٢٤، الحديث رقم (٧٣٢٦).

(٣) الأزهري، تهذيب اللغة، ج: ١٠، ص: ١١٤.

الملك -رحمه الله- (ت.٤٨٥هـ) إلى ذلك، ففرَّق الإقطاعاتِ على الجُنْد، وكانت عَادَة الْخُلَفَاء والسلاطين أَن تُجبَى الْأَمْوَالُ كُلُّها إِلَى الدِّيوَان، ثمَّ تُفَرَّق العطايا على الْأُمَرَاء والأجناد على حسب المقَرَّر لَهُم، فَلمَّا اتَّسعت مملكة نظام الملك، رأى أَن يُسَلِّم إِلَى كُلِّ مقطعٍ قَرْيَةً، أَو أَكثرَ، أَو أقلَّ على قدر إقطاعه، فهذه السياسة الإداريَّة ستحقِّقُ نتائجَ تنمويةً كبيرةً للناس، فإذا تَسَلَّم العاملُ المحافظةَ الخاصَّةَ به وَلَيْسَ لَهُ غَيرهَا عمَّرَها، واعتنى بهَا، بِخِلَاف مَا إِذا شَمل الْكُلَّ ديوَانٌ وَاحِدٌ، فَإِنَّ الْخَرْق يَتَّسِع، فَفعل ذَلِك، فَكَانَ سَبَب عمَارَة الْبِلَاد، وَكَثْرَة الغَلَّات[١].

فإن لم يُكَثِّف التركيز على تنمية تلك المناطق الطرفية، تحوَّل عددٌ من المؤثِّرين فيهم ليكونوا نهبًا لذئاب الأمم، التي تَحْتَوِشُهم من كُلِّ مكانٍ، وربما نشأ فيهم العُمَلاء الخَوَنةُ لدينهم، وأُمَّتهم.

وكُلُّ منطقةٍ فيهم –أيضًا- يَظْهَر فيها الوسط، والطَّرَف، وينشأ عن عدم العناية بهم انهيار الدول، وذهاب المجد والعِزّ من الأمم، ويبدأ الأمر في أطراف الأطراف، فما يلبث حتى يصل إلى الوسط المُمَنَّع، والمركز الآمن المُمَتَّع في كلِّ (طرفٍ) إلى أن يصبح وسط الطرف طرفًا بالنسبة لغيره، ثمَّ تأتي السُّنَّة على ما بعده، حتى تصبح (أمُّ القرى) طرفًا، يُوشِك أن يَعُمَّه ما جرى على غيره، فلا يُغَرَّ بطِيب العيش إنسانٌ، وكما قال أبو تمَّام (ت.٢٣١هـ)[٢]:

كَانَتْ هِيَ الْوَسَطَ الْمحْمِيَّ فَاكْتَنَفَتْ ... بِهَا الْحَوَادِثُ حَتَّى أَصْبَحَتْ طَرَفا

وكأنَّ الجبَّار ﷻ يقول: "أولم يروا ما يحدث في الدنيا من الاختلافات: خراب بعد عمارة، وموت بعد حياة، وذُلٌّ بعد عِزٍّ، ونقص بعد كمال، وإذا كانت هذه التغيُّرات مشاهدةً محسوسةً، فما الذي يُؤَمِّنُهم من أن يقلب اللهُ الأمرَ على هؤلاء الكفرة، فيجعلهم ذليلين بعد أن كانوا عزيزين، ويجعلهم مقهورين بعد أن كانوا قاهرين[٣]؟"

وفي كتابه الخطير "انتهزوا الفرصة" يُقَرِّر الرئيس الأمريكي المُنَظِّر (ريتشارد نيكسون) أنَّ حِفظَ المناطق النائية خارج الدولة حِفظٌ للدولة ذاتها، فكيف إذا كانت هذه المناطق النائية في الدولة؟ ففي

---

(١) عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، (الجيزة، دار هجر، ١٤١٣هـ)، ط٣، ج: ٤، ص: ٣١٧.

(٢) هذا البيت منسوب لأبي تمام بهذا اللفظ في عدة مصادر. ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج: ١، ص: ١٩٨، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج: ٢، ص: ٦، في حين ورد في ديوان أبي تمام بلفظ:

كانت هي الوسطَ الممنوعَ فاستُلِبَتْ.... ما حولها الخيلُ حتى أصبحت طرفًا.

ينظر: أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، ديوان أبي تمام حبيب بن أوس، (نظارة المعارف العمومية الجليلة، ١٩٠٠م)، د.ط، ص: ٢٠٣.

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ج: ١٩، ص: ٥٣، ولكنَّه -رحمه الله- أَسَرَهُ السياق عن تعميم النَّصّ.

الباب السادس: (نصف الكرة الأرضية الجنوبي) يُرَكِّز (نيكسون) على ضرورة اهتمام أمريكا بدول الجنوب الفقيرة، التي وقعت في حبائل التخلُّف؛ نتيجةً لسيطرة مسؤولين فاسدين، وانتهاج سياسات اقتصاديَّةٍ مَشُوبةٍ بسوء الإدارة، والأخذ بسياسات للتطوير يُسَاءُ توجيهُها، والصراعات المكلفة.

ويرى (نيكسون) أنَّ الفرق بين الشمال والجنوب آخِذٌ في الاتِّساع.. ولذلك يجب أن تهتمَّ أمريكا بالوضع المأساويّ في دول الجنوب.. ويُحذِّر من تجاهل الدول الفقيرة، قائلًا: "وإذا ما تجاهلنا هؤلاء الذين هم أقلُّ حظًّا منا، فإنَّنا في هذه الحالة لا نتقاعس فقط عن النهوض بمسؤوليتنا الأخلاقية، ولكنَّنا نُعَرِّض مصالحنا الاقتصاديَّةَ والإستراتيجيَّةَ للخطر"!

ويُشِير (نيكسون) إلى الأوضاع المتردِّية في نصف الكرة الجنوبي الذي يتمتع بثرواتٍ هائلةٍ، ونُمُوٍّ سُكَّانيٍّ كبيرٍ.. وبما أنَّ أبناء هذه المنطقة سيسعَوْن إلى النهوض ببلادهم، وتحسين أوضاعهم المعيشية، فإنَّه من الخير لأمريكا أن تساعدهم على ذلك عن طريق دعم الديمقراطيَّة، والاستثمارات الهادفة(١).

كُلُّ ذلك يُوقظ فينا الاهتمام بالأطراف في حال إرادة تغيير موازين القوى الدوليَّة إيجابًا أو سلبًا: فهذه السُّنة تُقَدِّم أكثر من تلميحٍ للأُمَّة المسلمة لكيفية فرض نفسها في الواقع الدولي، أمام مخالب الإجرام العالمي، من خلال الاهتمام بالأطراف التي لا يُنْتَبَه لها، أو يقلُّ الاهتمام بها، بعكس الأوساط التي يكون التركيز عليها قويًّا، وكم أخطأ دعاة التغيير بالتركيز على مناطق الوسط، أو على مناطق النشأة، أو الزخم والثروة، وأهملوا الأطراف، حتى أُكِلت منهم، وصارت حِرَابًا في صدورهم.

الحقيقة الثانية: من القوانين الإلهيَّة عدمُ المعاجلة بالعذاب المُسْتَأصَل:

هذا القانون الواقعيُّ الرهيب (نقصان الأرض من أطرافها) يقصُّ علينا ما يدور اليوم على أُمَّة الإسلام كالذين من قبلهم ممَّن كان أشدَّ قوةً، إذ لمس الرَّازِيَّ -رحمه الله- (ت.٦٠٦هـ) من هذا القانون: "أَنَّهُ تَعَالَى لَا يُعَاجِلُهُمْ بِالْعَذَابِ، وَلَكِنْ يَنْقُصُ مِنْ أَطْرَافِ بِلَادِهِمْ إِلَى الْقُرَى الَّتِي تُجَاوِرُهُمْ، حَتَّى يَخْلُصَ الْأَمْرُ إِلَيْهِمْ، فَحِينَئِذٍ يُهْلِكُهُمْ"(٢).

وإنَّك لتَعْجَب من هذا الفهم المُوفَّق للرَّازِيّ -رحمه الله-؛ لأنَّه يُشِير إلى أنَّ نقصَ الأرض من أطرافها يعني قِلَّةَ النُّمُوّ الاقتصاديّ، وضيق الأرزاق، ثُمَّ التآكُل الجغرافي.

---

(١) ينظر: ريتشارد نيكسون Seize the Moment: America's Challenge in a One-Superpower World، والفقرة منقولة من "قراءة في كتاب نيكسون: انتهزوا الفرصة!" ينظر: صلاح الدين النكدلي، قراءة في كتاب نيكسون: انتهزوا الفرصة، (الطبعة الشبكية، الدار الإسلامي للإعلام، ٢٠٠٩م)، ط١، ص: ٨.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ج: ٢٠، ص: ٢١٣.

وهذا التهديد للآمنين في المركز، جاء التعبير القرآنيُّ عنه بأساليب شتَّى، منها: قوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الْأَحْقَاف: ٢٧).

وهذه الحقيقة المتعلِّقة بعدم نزول العذاب المستأصل يدفعنا إلى التساؤل: **كيف نقول بأنَّ العذاب المستأصل لا يأتي مع أنَّ الله ﷻ أبادَ حضاراتٍ وأُمَمًا بأكملها؟**

حتى نجيب عن هذا التساؤل ينبغي أن نذكر المراحل الزمنية الفاصلة في التاريخ البشري:

مرحلةٌ زمنيَّةٌ فاصلةٌ في التاريخ البشري:

هنا ينبغي أن نعلم هذه السُّنَّة القَدَرِيَّة التي أشار إليها المفسِّرون: يختلف الأمر في موضوع إهلاك الظالمين بين ما قبل إنْجَاء بني إسرائيل بقيادة موسى عليه السلام وما بعدَه؛ إذ تُقَدَّر المعجزات الغيبيَّةُ في الانتصار على المجرمين إلى وقت هلاك فرعون، أمَّا ما بعدَ ذلك فيُطَالَبُ المؤمنون باتِّباع سُنَّة المدافعة؛ ليُحَقِّقوا انتصارهم على القتلة المعتدين، فلا يتوقعون غالبًا نزول عقوباتٍ خارقةٍ للعادة دون تَدَافُعٍ حقيقيٍّ:

فقد كان إهلاك الأقوام قبل عهد موسى عليه السلام مستأصلًا للكفر غالبًا، كما قال الله -جلَّ في علاه- عن شعيب عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ (هود: ٨٩)، وقال على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ۝٣٠ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ (غافر:٣٠،٣١)، وقال الله ﷻ عن العذاب الذي حلَّ بفرعون فمَن قبلَه: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ (الحاقة:٩-١٠)، إلَّا أنَّ بعض أهل العلم يميل إلى أنَّ استئصال الكفار بعقوبات معجزة خارقة للعادة، غير قائمٍ بعد مجيء موسى عليه السلام، ونجد مصداق ذلك تحقيقًا، فيما رواه أبو سعيد الخُدْرِيُّ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ما أهلك اللهُ قومًا، ولا قرنًا، ولا أُمَّةً، ولا أهلَ قريةٍ منذ أَنْزلَ التوراةَ على وجه الأرض بعذابٍ من السماء، غير أهل القرية التي مُسِخَت قردةً، ألم تر إلى أنَّ الله ﷻ يقول: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ

مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص: ٤٣)»[١]؛ ولذا قال ابن كثير -رحمه الله- (ت.٧٧٤هـ): "وَقَوْلُهُ: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ (القصص: ٤٣) يَعْنِي: أَنَّهُ بَعْدَ إِنْزَالِ التَّوْرَاةِ لم يُعَذِّبْ أُمَّةً بِعَامَّةٍ، بَلْ أَمَرَ المؤْمِنِينَ أَنْ يُقَاتِلُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ مِنَ المشْرِكِينَ"[٢]، كما قال: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤ ﴾ (محمد:٤).

وقد ورد في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ﴾ قراءةٌ أخرى هي قراءة الجمهور: ﴿وَٱلَّذِينَ قَٰتَلُواْ﴾[٣]... فبمَ تنبئك هذه القراءة؟

الجواب: إنَّها تُخبِرُك بأنَّ وقوع القتل عليهم لم يكن إلا عن مقاتلة، وليس لأنَّ عدوَّهم اجتاحهم، فاستسلموا له، فأَعْمَل فيهم سلاحَه، بل دافعوه، لكنَّهم -لحكمةٍ- لم ينتصروا، أو انتصر بقيَّتُهم، وقدَّمت طائفةٌ منهم أنفسَها في سبيل نُصرة الباقين[٤].

---

(١) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج: ١٩، ص: ٥٨٤، محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م)، ط١، ج: ٢، ص: ٤٤٢، الحديث رقم (٣٥٣٤)، وقال الذهبي: "على شرط البخاري ومسلم"، وقال الهيثمي: "رواه البزَّار موقوفًا ومرفوعًا، ولفظه: «ما أهلك الله ﷻ قومًا بعذاب من السماء ولا من الأرض إلا بعد ما أُنْزِلت التوراة". يعني: ما مُسِخَت قريةٌ». ورجالُهما رجال الصحيح". وصحَّحه الألباني، وقال -معلِّقًا على كلام الهيثمي-:" كلاهما صحيحٌ، ولا مخالفةَ بينهما، فمن الواضح أنَّ الموقوف على الصحابي في حكم المرفوع فيما يتعلَّق بالتفسير، حتى ولو لم يَرِدْ مرفوعًا، فكيف وقد صحَّ مرفوعًا أيضًا؟!". ينظر على الترتيب: علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق حسام الدين القدسي، (القاهرة: مكتبة القدسي، ١٩٩٤م)، د.ط، ج: ٧، ص: ٨٨، أحمد بن عمرو البزار، مسند البزار= البحر الزخار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، وآخرين، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٩٨٨م)، ط١، ص: ٢٢٤٧، ٢٢٤٨، محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٩٥م)، ط١، ج: ٥، ص: ٣٢٧، الحديث رقم (٢٢٥٨).

(٢) إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، (القاهرة: دار طيبة، ١٩٩٩م)، ط٢، ج: ٦، ص: ٢٣٩.

(٣) قرأ البصريَّان، وحفص ﴿قُتِلُواْ﴾ بضمِّ القاف، وكسر التاء من غير ألف بينهما، وقرأ الباقون بفتح القاف والتاء وألف بينهما. محمد بن محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، د.ط، ج: ٢، ص: ٣٧٤.

(٤) ينظر: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجابي، (دمشق/بيروت: دار المأمون للتراث، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ط٢، ج: ٦، ص: ١٩٠، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة بن زنجلة، حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، (بيروت: دار الرسالة، د.ت)، د.ط، ص: ٦٦٥،٦٦٦.

الحقيقة الثالثة: حماية عقول الأمة وقياداتها العلميَّة؛ إذ إنَّ اضطهادهم يُمثِّل نقصًا حقيقيًّا للثروة البشريَّة، ونقصانها مثل نقصان الأرض، مُؤذِنٌ بالخراب، والانهيار الحضاري:

تشعر بالإكبار العظيم لعلمائنا حين تجدهم فهموا أنَّ من المعاني التي يُبصِّرنا بها قوله -جلَّ ذِكْرُه-: ﴿نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ﴾ ذَهابَ القيادات العلميَّة، والفكريَّة، والفقهيَّة، فيدخل في نقصان الأطراف نقصانُ أهلِ الأرض وبركتِها أنفسًا، وثمراتٍ، وذهابُ فقهائها ومفكِّريها، وخِيار أهلها، وكبار أهل الرأي فيها.

كيف تذهب القياداتُ العلميَّةُ؟

الجواب: إمَّا بالموت الذي يَخْتَرِم البشريَّةَ، وإمَّا بأن يتسلَّط سفهاءُ الناس عليهم، فيُعْمِلون بأسَهم في العلماء والمفكِّرين، فيسجنونهم، أو يُنَكِّلون بهم.

هناك تتحوَّل ثروات الأمة العسكريَّة، والاقتصاديَّة، والمخابراتيَّة، والإعلاميَّة ضِدَّ نفسِها، وضِدَّ خيرة قيادتها العلميَّة والفكريَّة، فإذا ذهب الذين يستنبطون كيفيَّة إدارة الأحداث على الوجه الأمثل، فمَن الذي يُوجِّهُ المجتمع نحو قضاياه الحقيقية؟ ومَن الذي يُبصِّرهم بالقرارات اللازمة إزاء المستجدات العاصفة؟

ينقشع غبار المعارك الوهميَّة على الوصف المرعب الذي أخبر عنه النَّبِيُّ ﷺ «فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلاَمِ السِّبَاعِ، لاَ يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلاَ يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا»[(١)]، ويتخذ الناسُ رؤوسًا جُهَّالًا ليكونوا القيادات العلميَّة، وحينها تسمع ضجيج المخططين الإستراتيجيين المزيفين يُصَوِّرون الهزائمَ انتصاراتٍ، والجرائمَ إنجازاتٍ، ليزدادوا جهلًا فوق جهل، ويُصَوِّر لهم الشيطان الحقَّ باطلًا، والباطلَ حقًا.

ورأيـــتَ الـــذين يَسْـــعَوْن فـــي الأرْ ... ضِ فســـــادًا يُخَـــــادِعُون الرَّقِيبَـــــا
فـــرَأَوْا قُبْحَـــــه جمـــــالًا وعـــــدُّوا ... نَتْنَـــــهُ والعيـــــاذُ بـــــاللهِ طِيبًـــــا[(٢)]

وفي لهفة المُحِبِّ لأُمَّته يُبَيِّن النَّبِيُّ ﷺ ذلك محذِّرًا أن تَتَّبِعَ الفاسقين والجاهلين، فيقول: «لا تقومُ الساعةُ حتى يأخُذَ اللهُ ﷻ شَرِيطَتَهُ من أهل الأرض، فيبقى فيها عَجَاجَةٌ، لا يَعْرِفُون معروفًا، ولا

(١) مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، د.ط، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابٌ فِي خُرُوجِ الدَّجَّالِ وَمُكْثِهِ فِي الْأَرْضِ ...، ج: ٤، ص: ٢٢٥٨، الحديث رقم (٢٢٤٩).

(٢) البيتان للشاعر محمد مولود المملوكي، في قصيدة بعنوان: (نحّ عن مدرج الشباب المشيبا).

يُنْكِرُون منكرًا»[١]، هنا ترى قوَّةَ البيان القرآنيِّ في التعبير عن ذهاب القيادات العلميَّة بنقص الأرض من أطرافها، كما تشعر بقوَّة الاستنباط العلميِّ الذي أُوتِيه علماؤنا عند ما ذكروا هذا المعنى.

وأخذ الشاعر ذلك، رابطًا بين حياة التقدُّم العُمْرانِيِّ في الأرض، ووجود القيادات العلميَّة المستنبطة، فقال:

الْأَرْضُ تحيَــا إِذَا مَــا عَــاش عَــالِــمهَا ... مَتَــى يمُــتْ عَالــمٌ مِنْهَــا يَمُــتْ طَــرفُ

كَــالْأَرْضِ تحْيَــا إِذَا مَــا الْغَيْــثُ حَــلَّ بِهَــا ... وَإِنْ أَبَــى عَــاد فــي أكنافهَــا التَّلَــفُ[٢]

الحقيقة الرابعة: يجب إخماد الخطر القادم الصغير فور ظهوره، أمَّا احتقاره والغفلة عنه فتلك كلمة السر في دمار الأمم:

وحسبك أن تذكر الكلمة السُّنَنِيَّة الغالية التي عبَّر عنها بعض مستشاري الدولة الأُمَوِيَّة، وهو يصف سبب انهيارها، فيحكي ابن كثير -رحمه الله-:

قَالَ مَرْوَانُ بن محمد -رحمه الله- (ت.١٣٢هـ) آخر خلفاء بني أُمَيَّة يَوْمًا لبعضِ مَنْ يُخَاطِبُهُ:

أَلَا تَرَى مَا نحن فِيه؟ لَهْفِي عَلَى أيدٍ مَا ذُكِرَتْ، وَنِعَمٍ مَا شُكِرَتْ، وَدَولَةٍ مَا نُصِرَتْ.

فقال له الخادم: يا أمير المؤمنين، من ترك القليلَ حتى يكثُر، والصغير حتى يكبُر، والخفي حتى يظهر، وأَخَّرَ فعل اليوم لغد، حلَّ به أكثر من هذا. فقال مروان: هذا القول أشدُّ عليَّ من فَقْدِ الخلافة."[٣].

السُّنَن الإلهيَّة عامة لا تقتصرَ على الكفار، فلا مُحَاباةَ فيها:

فقد كان نصرُ بن سيَّار -رحمه الله-(ت.١٣١هـ) آخر ولاة الأمويين على خُرَاسَان، وكان واليًا مُحنَّكًا حازمًا، فاستشعر بوادرَ الانفجار، ونُذُرَ الخطر، وكتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة والي

---

(١) أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، وآخرين، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ط١، ج: ١١، ص: ٥٥١، الحديث رقم (٦٩٦٤)، وقال الأرناؤوط: "رجاله ثقاتٌ، رجال الشيخين، إلا أنَّ فيه عنعنة الحسن وهو البصري، وقد رُوِيَ مرفوعًا وموقوفًا، والأشبه وقفه"، قال ابن الأثير: "يَعْنِي أهلَ الخَير والدِّين، والْأَشْرَاطُ: مِنَ الأضْداد يقعُ عَلَى الأشْرَاف والأرْذَال. قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: أظنُّه شَرَطَتَهُ: أَيِ الخيارَ". المبارك بن محمد بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩م)، د.ط، ج: ٢، ص: ٤٦٠.

(٢) البيتان لأحمد بن غزال. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج: ٤، ص: ٤٧٢.

(٣) إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، (الجيزة، دار هجر، ١٩٩٧م)، ط١، ج: ١٣، ص: ٢٦٦.

العراق في تلك الأيام، يُعْلِمُه ما شاع بخُرَاسَانَ من الاضطراب في العامين الماضيين، ويُحَذِّره من خطورة الوضع، ويُصَارِحه أنَّه إذا استمرَّ في التدهور، فإنَّه سيُؤدِّي لا محالةَ إلى عاقبةٍ وخيمةٍ، وستُقتَلع الدولةُ، ويذهبُ مُلْكُها، وقال(١):

أَبلِغْ يزيدًا -وخيرُ القولِ أصدقُه- ... وقد تيقَّنتُ ألّا خيرَ في الكَذِبِ
بأنَّ أرضَ خُرَاسَانٍ رأيتُ بها ... بَيضًا إذا أَفْرِخَت حُدِّثتَ بالعَجَبِ
فِرَاخُ عامين إلّا أنَّها كَبرَتْ ... لمَّا يَطِرْنَ وقد سُرْبِلْنَ بالزَّغَبِ
فإنْ يَطِرْنَ ولم يُحْتَلْ لهُنَّ بها ... يُلْهِبْنَ نِيرانَ حَرْبٍ أيَّمَا لَهَبِ

لم تقع الكلمات في قلوبِ سامعها، فلم يَمُدَّه بأحد؛ رُبَّما لأنَّ والي العراق لم يهتمَّ، ورُبَّما لأنَّه كان مشغولًا بمجالدة الخوارج، فاستغاث نصرٌ بآخر خلفاء بني أُمَيَّةَ في دمشق مروان بن محمد، وأَعْلَمَه حال أبي مسلم الخُرَاسَانِيِّ، وخروجه، وكثرة أتباعه، وأخبره بغوائل الفتنة القائمة، إن لم يُنْجِدْه بمَدَدٍ مِن عنده، فكتب يُنْذِرُه ويُحَذِّرُه شِعرًا:

أرى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِيضَ جَمْرٍ ... ويُوشِكُ أن يكونَ له ضِرَامُ
فإنَّ النَّارَ بالعُودَيْنِ تُذْكَى ... وإنَّ الحربَ مَبدَؤُها كلامُ
فإنْ لم يُطْفِها عُقَلاءُ قومٍ ... يكونُ وَقُودَها جُثَثٌ وهَامُ
فقلتُ منَ التَّعَجُّبِ: ليتَ شِعْري ... أَأَيْقاظٌ أُمَيَّةُ أم نِيَامُ
فإنْ يَقِظَتْ فذاك بقاءُ مُلكٍ ... وإنْ رَقَدَتْ فإنِّي لا أَلَامُ
فإن يكُ أصبحوا وَثَّوَوْا نيامًا ... فقل: قوموا فقد حانَ القيامُ
فَفِرِّي عن رِحَالِكِ ثُمَّ قُولِي ... على الإسلامِ والعربِ السَّلامُ(٢)

ولكنَّ الاقتتال بين القيسيَّة واليمانيَّة حصل في نفس الفترة(٣)، وانشغل الخليفة بإنهاء هذا الاقتتال، وعند ما قطع نصرٌ الأمل، وفقد الرجاء، أخذ يبثُّ همومَه وشجونه إلى العرب في المدينة، محاولاً أن

(١) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (بيروت: دار التراث، ١٣٨٧هـ)، ط٢، ج: ٧، ص: ٣٧٠، و (الزَّغَب): أول ما ينبت من الريش. ابن فارس، مقاييس اللغة، ج: ٣، ص: ١٣.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م)، ط٢، ج: ٣، ص: ١٤٩.

(٣) ينظر: النزاع بين القبائل اليمنية والقيسية في المشرق الإسلامي وأثره على الدولة الأموية (٦٤-١٣٢هـ/٦٨٤-٧٥٠م)، ص: ٨٦-١٠٣.

يستثمر نخوتهم الدينيَّة، وعِزَّتَهم القوميَّة، وناشدهم أن يكُفُّوا عن الاقتتال فيما بينهم، وأن تتحد سواعدهم وقلوبهم للوقوف في وجه أبي مسلم، الذي أصبح يُهدِّد وجودهم ومصيرهم، فكتب:

أَبلِغْ ربيعةَ في مَرْوٍ وإخوتِها ... أن يغضبوا قبلَ أن لا ينفعَ الغضبُ
ما بالُكم تُلْقِمُون الحربَ بينَكمُ ... كأنَّ أهلَ الحِجا عن فِعْلِكم غُيُبُ
وتتركون عدُوًّا قد أظلَّكُمُ ... فيمن تأشَّبَ لا دِينٌ ولا حَسَبُ
ليسوا إلى عربٍ منَّا فنعرفهم ... ولا صميم الموالي إن هُمُ نُسِبُوا
قومٌ يَدِينُون دِينًا ما سَمِعْتُ به ... عن الرسولِ ولا جاءت به الكُتُبُ
فمَنْ يكن سائلي عن أصلِ دِينِهِمُ ... فإنَّ دِينَهم أن تُقتلَ العربُ[1]

(١) أحمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربي- عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٠م)، ط١، ص: ٣٦١، ٣٦٢.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث أُسجِّل أهمَّ النتائج التي توصَّل إليها:

أولًا: أظهر لنا التدبُّر في هذه السُّنَّة العظيمة "نقص الأرض من أطرافها" التطبيق الواقعي الذي يفصِّل قول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩)؛ إذ يثبت لنا التدبر المتين لهذه السُّنَّة فاعليتها العميقة في حياة الأفراد والأمم والدول.

ثانيًا: استبانت لنا قوة الأسلوب القرآني في التنبيه السُّنَن الإلهية الحاكمة للكون والأمم، مع وجازة التعبير عنها، ودقته.

ثالثًا: "سُنَّة نقص الأرض من أطرافها" يجب أن تكون حاضرة في التفكير الاستراتيجي عند قادة الدول، وصُنَّاع القرار، والمهتمين بأمن الأمة الإسلامية على الخصوص.

رابعًا: تنوَّعت أقوال المفسِّرين المتقدِّمين والمتأخِّرين في المراد بـ(نقص الأرض من أطرافها)، وجَهَدَ البحث على إعْمالِها، والإفادة منها جميعًا في فَهْمِ هذه السُّنَّة.

خامسًا: أبرز البحث المظاهر والتطبيقات الواقعيَّة لسُنَّة نقص الأرض من أطرافها، فذكر منها نقص أهلِها وبركتها، وعدم الاستفادة من الأطراف، وفقدان السيطرة عليها، وذهاب العلماء والأخيار، وسرقة العقول العلميَّة، وعدم القدرة على استيعابها.

سادسًا: ذكر البحث النتائج المترتِّبة على الفهم الصحيح لهذه السُّنَّة، فكان من أهمِّها: الاهتمام بالأطراف وعدم إهمالها، وحماية عقول الأُمَّة وقياداتها العلميَّة في كافَّة المجالات، وإخماد الخطر فور ظهوره، وعدم التهاون في مقاومته وإخماده.

ويُوصِي البحث بدراسة خفايا السُّنَن المبثوثة في القرآن المجيد؛ إذ تمثِّل هذه السُّنَّة أنموذجًا لما قد يمرُّ عليه المفسِّر أو المتدبِّر دون أن يجتهد في إدراك مضامينه العميقة التي تتعلَّق بالنصر والتمكين، والخروج من عقبة الاستضعاف، والإفادة منها في تكوين رؤيةٍ قرآنيَّةٍ فريدةٍ عن عوامل الانهيار الحضاريِّ للدُّوَل، والشعوب، والجماعات.

فهرس المصادر والمراجع

الإبراهيمي، محمّد (١٣٨٥)، آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
ابن الأثير، المبارك. (١٩٧٩). النهاية في غريب الحديث والأثر، د.ط. بيروت، المكتبة العلمية.
ابن الجزري، محمد. (د.ت). النشر في القراءات العشر، د.ط. بيروت، دار الكتب العلمية.
ابن الجوزي، عبد الرحمن. (١٤٠٤). زاد المسير في علم التفسير، ط٣. بيروت، المكتب الإسلامي.
ابن تيمية، أحمد. (١٩٩٩). اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ط٧. بيروت، دار عالم الكتب.
ابن خلدون، عبد الرحمن. (١٩٨٨). تاريخ ابن خلدون= ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ط٢. بيروت، دار الفكر.
ابن زنجلة، عبد الرحمن. (د.ت). حجة القراءات، د.ط. بيروت، دار الرسالة.
ابن سيده، علي. (٢٠٠٠). المحكم والمحيط الأعظم، ط١. بيروت، دار الكتب العلمية.
ابن فارس، أحمد. (١٩٧٩). مقاييس اللغة، ط١. بيروت، دار الفكر.
ابن كثير، إسماعيل. (١٩٩٧). البداية والنهاية، ط١. الجيزة، دار هجر.
ابن كثير، إسماعيل. (١٩٩٩). تفسير القرآن العظيم، ط٢. القاهرة، دار طيبة.
ابن منظور، محمد، (١٤١٤). لسان العرب، ط٣. بيروت، دار صادر.
ابن هشام، عبد الله، (١٩٨٥). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ط٦، دمشق، دار الفكر.
أبو حيان، محمد. (د.ت). البحر المحيط في التفسير، د.ط. بيروت، دار الفكر.
إسماعيل، محمود. الحركات السرية في الإسلام، ط٥. مصر، سينا للنشر/بيروت، مؤسسة الانتشار العربي.
الأزدي، مقاتل. (١٤٢٣). تفسير مقاتل بن سليمان، ط١. بيروت، دار إحياء التراث العربي.
الأزهري، محمد. (٢٠٠١). تهذيب اللغة، ط١. بيروت، دار إحياء التراث العربي.
الأصفهاني، الحسين. (١٤١٢). المفردات في غريب القرآن، ط١. بيروت، دار القلم.
الألباني، محمد ناصر الدين. (١٩٨٨). صحيح الجامع الصغير وزيادته، ط٣. بيروت، دمشق، المكتب الإسلامي.
الألباني، محمد ناصر الدين. (١٩٩٥). سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ط١. الرياض، مكتبة المعارف.
البخاري، محمد. (١٩٨٩). الأدب المفرد، ط٣. بيروت، دار البشائر الإسلامية.
البزار، أحمد. (١٩٨٨). مسند البزار= البحر الزخار، ط١. المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم.
بومداح، مرزاق. النزاع بين القبائل اليمنية والقيسية في المشرق الإسلامي وأثره على الدولة الأموية (٦٤-١٣٢هـ/٦٨٤-٧٥٠م)، حوليات التاريخ والجغرافيا، العدد١٢، ديسمبر ٢٠١٧م.
جبل، محمد. (٢٠١٠). المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ط١. القاهرة، مكتبة الآداب.
الجوهري، إسماعيل. (١٩٨٧). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط٤. بيروت، دار العلم للملايين.
الحاكم، محمد. (١٩٩٠). المستدرك على الصحيحين، ط١. بيروت، دار الكتب العلمية.
الدينوري، أحمد. (١٩٦٠). الأخبار الطوال، ط١. القاهرة، دار إحياء الكتب العربي- عيسى البابي الحلبي.
الرازي، محمد. (١٤٢٠). مفاتيح الغيب، ط٣. بيروت، دار إحياء التراث العربي.
الزمخشري، محمود. (١٤٠٧). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣. بيروت، دار الكتاب العربي.
السبكي، عبد الوهاب. (١٤١٣). طبقات الشافعية الكبرى، ط٣. الجيزة، دار هجر.
شهوان، راشد. (٢٠٠٨). تأصيل علم السنن الربانية. مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور،

باكستان، عدد ١٥، ٨-٨٩.
الشوكاني، محمد. (١٤١٤). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط١. دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.
الشيباني، أحمد. (٢٠٠١). مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط١. بيروت، مؤسسة الرسالة.
الطائي، حبيب. (١٩٠٠). ديوان أبي تمام حبيب بن أوس، د.ط. نظارة المعارف العمومية الجليلة.
الطبراني، سليمان. (١٩٨٤). مسند الشاميين، ط١. بيروت، مؤسسة الرسالة.
الطبري، محمد. (١٣٨٧). تاريخ الرسل والملوك، ط٢. بيروت، دار التراث.
الطبري، محمد. (٢٠٠٠). جامع البيان في تأويل القرآن، ط١. بيروت، مؤسسة الرسالة.
الفارسي، الحسن. (١٩٩٣). الحجة للقراء السبعة، ط٢. (دمشق/بيروت، دار المأمون للتراث.
القشيري، مسلم. (د.ت). صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله)، د.ط. بيروت، دار إحياء التراث العربي.
قطب، سيد. (١٤٢٢). في ظلال القرآن، ط١٧. بيروت/القاهرة، دار الشروق.
القيسي، مكي. (٢٠٠٨). الهداية الى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، ط١. الشارقة، جامعة الشارقة.
الكرماني، محمود. (د.ت). غرائب التفسير وعجائب التأويل، د.ط. جدة/بيروت، دار القبلة للثقافة/ مؤسسة علوم القرآن.
الماوردي، علي. (د.ت). النكت والعيون، د.ط. بيروت، دار الكتب العلمية.
امرؤ القيس، (٢٠٠٤). ديوان امرئ القيس، ط٢، بيروت، دار المعرفة.
الناصري، محمد. (١٩٨٥). التيسير في أحاديث التفسير، د.ط. بيروت، دار الغرب الإسلامي.
النجار، زغلول. (٢٠٠٥). من آيات الإعجاز العلمي: الأرض في القرآن الكريم، د.ط. بيروت، دار المعرفة.
النكدلي، صلاح الدين. (٢٠٠٩). قراءة في كتاب نيكسون: انتهزوا الفرصة، ط١، الطبعة الشبكية، الدار الإسلامي للإعلام.
الهيثمي، علي. (١٩٩٤). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، د.ط. القاهرة، مكتبة القدسي.
الواحدي، علي. (١٩٩٤). الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ط١. بيروت، دار الكتب العلمية.

:Transliteration Arabic References

Alquran Alkrym brwayt Hfs 'en Asim.
Ibn Alathyr, Almubark. (١٩٧٩). Alnhayh fi ghryb alhdyth walathr, d.t. Bairout, Almktbh Al'elmyh.
Ibn aljzry, Mohammed. (d.t). Alnshr fi Alqra'at Al'eshr, d.t. Bairout, dar Alktb Al'elmyh.
Ibn Aljwzy, Abd alrhmn. (١٤٠٤). Zad Almsyr fi 'elm altfsyr, t٣. Bairout, Almktb Aleslamy.
Ibn tymyh, Ahmed. (١٩٩٩). Aqtda' alsrat almstqym lmkhalfh ashab aljhym, t٧. Bairout, dar Alam Alktb.
Ibn khldwn, Abdulrhmn. (١٩٨٨). Tarykh ibn khldwn= dywan almbtda walkhbr fi tarykh al'erb walbrbr wmn 'easrhm mn dwy alshan alakbr, t٢. Bairout, dar Alfkr.
Ibn znjlh, Abdulrhmn. (d.t). Hujat alqra'at, d.t. Bairout, dar alrsalh.
Ibn sydh,Ali. (٢٠٠٠). Almuhkm Almhyt Ala'ezm, t١. Bairout, dar alktb al'elmyh.
Ibn Faris, Ahmed. (١٩٧٩). Mqayys Allghh, t١. Bairout, dar alfkr.
Ibn Kthyr, Esma'eyl. (١٩٩٧). Albdayh walnhayh, t١. Aljyzh, Dar hjr.

Ibn Kthyr, Esma'eyl. (١٩٩٩). Tfsyr alqran al'ezym, t٢. Cairo, Dar Tybh.
Ibn mnzwr, Mohammed, (١٤١٤). Lesan Al'erb, t٣. Bairout, Dar sadr.
Abdulallh bin Yousuf bin Hisham, Moghny allbyb 'en kotob ala'earyb, thqyq: Mazen Almobark, Mohammed Ail Hamad Allah, (Dimashq: Dar Alfekr, ١٩٨٥m.
Abu hyan, Mohammed. (d.t). Albhr almhyt fi altfsyr, d.t. Bairout, Dar Alfkr.
Alazdy, Moqatil. (١٤٢٣). Tafsyr Moqatil bin Sulyman, t١. Bairout, Dar Ehya' Altrath Al'erby.
Alazhry, Mohammed. (٢٠٠١). Tahdyb Allghh, t١. Bairout, Dar Ehya' Altrath Al'erby.
Alasfhany, alhsyn. (١٤١٢). almfrdat fy ghryb alqran, t١. Bairout, Dar alqlm.
Alalbany, Mohammed Nasr aldyn. (١٩٨٨). shyh aljam'e alsghyr wzyadth, t٣. Bairout, Dimashq, almktb aleslamy.
Alalbany, Mohammed Nasr aldyn. (١٩٩٥). Slslh alahadyth alshyhh wshy' mn fqhha wfwa'edha, t١. Riyadh, mktbh Alm'earf.
Albkhary, Mohammed. (١٩٨٩). Aladb Almufrd, t٣. Bairout, Dar Albsha'er Aleslamyh.
Albzar, Ahmed. (١٩٨٨). Mosnd Albzar= Albhr Alzkhar, t١. Almdynh Almnwrh, mktbh Al'elwm Walhkm.
Jabal, Mohammed. (٢٠١٠). Alm'ejm Alashtqaqy Alm'esl Lalfaz Alqran Alkrym, t١. Cairo, Mktbh Aladab.
Aljwhry, Esma'eyl. (١٩٨٧). Alshah Taj Allghh Wshah Al'erbyh, t٤. Bairout, Dar al'elm llmlayyn.
Alhakm, Mohammed. (١٩٩٠). Almstdrk 'ela Alshyhyn, t١. Bairout, Dar Alktb Al'elmyh.
Aldynwry, Ahmed. (١٩٦٠). Alakhbar Altwal, t١. Cairo, Dar Ehya' Alktb al'erby- 'eysa albaby alhlby.
Alrazy, Mohammed. (١٤٢٠). Mfatyh Alghyb, t٣. Bairout, Dar Ehya' Altrath Al'erby.
Alzmkhshry, Mahmoud. (١٤٠٧). Alkshaf 'en hqa'eq ghwamd altnzyl, t٣. Bairout, Dar Alktab Al'erby.
Alsbky, Abdulwhab. (١٤١٣). Tbqat Alshaf'eyh Alkbra, t٣. Aljyzh, Dar Hajr.
Shhwan, Rashed. (٢٠٠٨). Tasyl 'elm alsnn alrbanyh. mjlh Alqasam Al'erby, jam'eh Benjab Lahwr, Pakistan, 'edd ١٥, ٨-٨٩.
Alshwkany, Mohammed. (١٤١٤). Fth Alqdyr aljam'e byn fny alrwayh waldrayh mn 'elm altfsyr, t١. Dimashq, Bairout, Dar Ibn Kathyr, Dar Alklm Altyb.
Alshybany, Ahmed. (٢٠٠١). Mosnd Alemam Ahmed bin Hanbl, t١. Bairout, M'essh Alrsalh.
Alta'ey, Hbyb. (١٩٠٠). Dywan aby tmam hbyb bn aws, d.t. nzarh alm'earf al'emwmyh aljlylh.
Altbrany, Slyman. (١٩٨٤). Mosnd alshamyyn, t١. Bairout, m'essh alrsalh.
Altbry, Mohammed. (١٣٨٧). Tarykh alrsl walmlwk, t٢. Bairout, Dar Altrath.

Altbry, Mohammed. (٢٠٠٠). Jam'e Albyan fi tawyl Alqran, t١. Bairout, M'essh alrsalh.
Alfarsy, Alhasn. (١٩٩٣). Alhjh llqra' alsb'eh, t٢. (Dimashq / Bairout, Dar Almamwn lltrath.
Alqshyry, Moslem. (d.t). Shyh mslm (almsnd alshyh almkhtsr bnql al'edl 'en al'edl ela rswl allh), d.t. Bairout, Dar Ehya' Altrath Al'erby.
Qutb, Sayid. (١٤٢٢). Fi zlal alqran, t١٧. Bairout / Cairo, Dar Alshrwq.
Alqysy, Makky. (٢٠٠٨). Alhdayh Ela Blwgh Alnhayh fi 'elm m'eany Alqran wtfsyrh, wahkamh, t١. Alsharqh, Jam'eh Alsharqh.
Alkrmany, Mahmoud. (d.t). Ghra'eb Altfsyr W'eja'eb Altawyl, d.t. jdh/byrwt, Dar Alqblh llthqafh/ m'essh 'elwm alqran.
Almawrdy, Ali. (d.t). Alnkt Wal'eywn, d.t. Bairout, Dar Alktb Al'elmyh.
Emro Alqys bin Hajar bin Alhareth, Dywan Emro Alqys, thqyq: Abd ulrhman Almstawy, (Bairout: Dar Almarefah, ١٤٢٥h/٢٠٠٤), t٢.
Alnasry, Mohammed. (١٩٨٥). Altysyr fi Ahadyth Altfsyr, d.t. Bairout, Dar Alghrb Aleslamy.
Alnjar, Zghlwl. (٢٠٠٥). Men ayat ale'ejaz al'elmy: alard fi alqran alkrym, d.t. Bairout, Dar Alm'erfh.
Alnkdly, Slah aldyn. (٢٠٠٩). Qra'h fy ktab nykswn: anthzwa alfrsh, t١, altb'eh alshbkyh, aldar aleslamy lle'elam.
Alhythmy, Ali. (١٩٩٤). Mjm'e alzwa'ed wmnb'e alfwa'ed, d.t. Cairo, mktbh Alqdsy.
Alwahdy, Ali. (١٩٩٤). Alwsyt fi tfsyr alqran almjyd, t١. Bairout, Dar Alktb Al'elmyh.